

وزارة الثقافة
الثقافة الجماهيرية
مدرسة الثقافة الجماهيرية
بالاسكندرية



وادي الشبابة



أكتب

وأدب العيسى

الأوراق تصميم الفنان رافت صبري

للاستاذ الدكتور / محمد مصطفى هـ

إلى انتصار أكتوبر العظيم
مع الإجلال والتحية

كانت مكسه ١٩٦٧ بداية النهاية بالنسبة لسياسة المبالغة فسى
شويه الحقائق بنضخيم الدات واختلاط الرؤى ، بل كانت حصارا
لاخطاء متراكمة ومغامرات غير محسوبة النتائج ، وكان ولسع
الهرجاء عنيفا فى نفوس أبناء الشعب الذهب أنهار حصن الأمسن
الذى كان يعصمهم ، وأحسوا أنهم يواجهون بظهورهم العراء .

وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء توقع لحدنا حزينا على وتر اللكسة
حتى ليتمكن القول بأكتمال وجود أدبى لللكسة يقال له أحيانا
(الأدب الحزيرالى) وترك الشاعر نزار قبائلى فتوحاته فى عالم
المرأة والجنس ليشتبع العرب سخرية فى (هوامش على دفتسر
اللكسة) ، ولم يكن وجود أمثال نزار فى ساحة الفكر العربى إلا عاملا
من عوامل اللكسة ، وقد صدق الشاعر السودانى سيد أحمد الحرولى
حين كتب قصيدته (هوامش على دفاترهم سنة ١٩٦٧ يلحن فيها
أسلوب نزار الملىء بالتحنن والميوعة والجنس والشدو ، وجعل
إهداء القصيدة (اليهم ، الذين - فجأة - خرجوا من حجورهم وعلقوا
المشائق للمناغلين الشرفاء ، إليهم وفيهم العميل ، وفيهم
الjasوس ، وفيهم أيضا نزار القبائلى ؛

أكتب للمزيهين واللصوص المخنثين

أكتب للمنافقين

أكتب للذين حسبوا على بلادنا رجال

أكتب للذين جاوزوا خمسين

ولا يزال بعضهم أطفال
أكتب للأشياء
الدين فجأة تحولوا أبطال
مأساتنا
أنا تركناهم لخمسين سنة
يبعثرون السم في عقولنا
يعلموننا :
لكي تكون بطلا
لا بد أن تعرف كيف تؤكل الكتف
وكيف تستحيل صنما من الخزف
مأساتنا
أنا تركنا واحدا مثل نزار
يوزع فينا تلكم الأشعار
عن جزر وحيدة ملسية
خلف البحار السبع
مرجانية
عن النساء الزانيات
عن مومسات باريس الرمادية
عن البطولات النسائية
والعنتريات الحريمية
وكانت الهزيمة
لأننا كنا مليثين بأغنيات الموت في الشقاء
بمفردات العهد والحدار

كل ما في الكون من ضجر
لا كنا مليئين بأل الله
سام نحت هدب امرأة من قرطبة
لا كنا سبيع الجنس في مدريد
وها هنا كان على حدودنا اليهود
شبدون الموت واللحود
وفجأة يستيقظ الشاعر من سكرته
يخرج من صومعة النساء
يخرج للهواء
كأي طفل عاد من عقوقه بالاحياء
كأي طفل فجأة يصير رجلا
وفجأة يرفع في وجوهنا مأساته القديمة
وبكر الجريمة
ويمدر الحكم علينا بالفناء
لأننا كنا نعيش في أشعاره
ونملك المعلقات
عن النساء الزانيات

ويمضي الشاعر السوداني الذي كان يعبر عن روح الشعب العربي
المتحضر للثأر وتجاوز الهزيمة ، والذي كان يؤكد انفصال نزار
ومن علي شاكلته عن قضية الانسان العربي الذي يكافح في جد وصبر
في كل مجال ، ثم يقول له في النهاية :

وفى الختام

يا شاعر الدانتيل والمخمل والرياش

يا من يرمش شرفنا

بالجنس والنعاس

نحن كبرنا ألف عام

نحن تركنا أن نموت فى الشفاه

وتحقق ما قاله الشاعر فى إصرار وعزم : لقد كبرنا ألف عام
بعد الهزيمة وتركنا أن نموت فى الشفاه واخترنا الموت فى ساحة
الشرف والقتال ، أن نصر اكتوبر ١٩٧٣ . كان ميلادا لتحقيق
الشخصية المصرية التى تمتد جذور حضارتها آلاف الأعوام ، بعد
فترات من اليأس والاحباط ، وإن الأداء البطولى للمقاتل المصرى
فى هذه الحرب كان نابعا من إيمان لا يقهره سلاح ، ومن تدريب
شاق واعداد علمى تحكمه أدق الضوابط والمعايير ، ولم يكن
اندفاعا حماسيا تلقائيا ، ولهذا كله نحن الهامات احلال الذكرى
هذا اليوم الذى سطر فيه المحاهدون الانطال صفحة خالدة فى
تاريخ شعبنا العريق ، وسرنا أن نقدم هذا - أقلام ادباء الاسكندرية
فى هذا الكتاب - بحبه لانتصار اكتوبر العظيم ، ولن يكون كل هذه
النفثات مدى مباشر لا ينصير فى المعركة ولكنها بطل ما تحويه
من صدق وواقعية وبراعة فى الأداء تتجاوب مع روح النصر وتصدر
عن ضميره الواعى وتستشرف افاقا مضيئة كان المقاتلون يسحبون
أنوارها بأرواحهم الشفافة ودمائهم الطاهرة ، وعلى الله قصد
السبيل .

اشعار

فوزی خضر

میرزا ابو علم

احمد فضل شبلول

احمد مبارک

أناشيد العصور

بقلم : فوزى خضر

أنشودة الفخر

اليوم زغرد الرصاص فى الهواء ، كنت أحمل السماء فوق كتفى
الحزين ، عرضى النجوم .. لو أباح تديها الغريب لن يعيد لى
أبى إلى الديار .. كيف أستطيع أن أفوت ؟؟ كيف يستطيع
أن يموت من يعاديني ؟؟ وها أنا أطل : أشرب اللهب ، أبلغ
السنين كي أمر من تكسر الشعاع فى نوافذ الملاهى لانطلاقه
الأذان .

على أن أفوت .. كان ثوب أمى الحزين فوق صفحة القناة ، دلى
على بلادى التى فقدت عينيها على انحناءة الطريق .. هبت السنون
فى دمي .. وسافرت سيوف أهلى القدامى فى العروق .. شبت النار
وهبت كل شعرة تود لو تخلق الرصاص فى يدي ، كنت باحثاً هناك
عن بيوت أهلى القدامى فى المباح .. واحتويت كل حبة مسنن
الرمال .. ليس فى الطريق من خطى سوى .. والسماء فوق كتفى
ابتداءة الزمان .

..

رسالة :

اليوم كنت يا أبى أكتب لك
كل النجوم لم يلفز بعرضها منهم أحد
ونحن نرفع اللواء عبر كل خطوة
وأنت - خلفى - السند
.. أود أن أهتف لك :
أيا أبى ..
يا وطنى

الفخر لك

الفخر لك

قبل العبور - أنشودة ثانية

خَوْضاً .. إلى أن تخرج الخطوات في نار التواريخ العليسة ،
 سيخ نار في لساني ، جمرة في الحلق .. تنتفض الرياح الهوج في
 صدري لتسهر في السماء قوافل الغيمات قافلة قافلة تسيـر ،
 طيئة ، ارتج ركضاً في رواق دائري أشبه مطراً ، يحمل في سقسف
 أسكب العينين كأسين ارتقاها لابتداء الرأي ، فانتفضي بقلبي في
 صرخة ، نهار منها وقفة الحدران في وجهي ، فوجهي ، ذلـك
 التمثال ، مازالت نداعبه الأمانى أن يعود الدم فيه العام كي يحيا ،
 يعود الدم فيه اليوم كي يحيا ، يعود الدم فيه الآن ، فانتفضي من
 القلب الساهل بشهي عيد الحماد برقصة الاعطاء .. كوني في
 اشتعال الدرب ساقية المعابد ، كوب ماء ، دمة .. على أشق
 النار خَوْضاً ، على أتملص الآن ابتداء بانعتاق القلب من جـوف
 المعابد ، راكضاً في صفحة الريح أصعبها ، أعيد خطوطها ،
 وأفك خيط الموميا . أشدها من أذنها لتري رؤوس الباطحات علت
 على أهرامها لتري لبحر جـرها .. أبداً لك الغرباء مار الوابيعسون
 النمائل الصغيره في بلاد النفط ، مار الوا سعدون الرواتب والديون
 فقم أيا فرعون وأجمع أمهر الأبناء ، كما ، من نلافيف المدائس
 هالك من دراعى الدعا حبال الحصن يفتح في المباح يدك شمساً
 حرة .. مائاً حديداً شهبوا عاربع مستظراً .. ويمتدى الفرج .

أبيي وبيلك موعد للعرس في عيد الوطن في

أسي القرمان فحر طالع

في ساعد القرمان دم دافق

في صوم العيد المعاود من تلايف الر من أ

سونى بنيك الآن من عهد الليالى ، من أكاذيب الجرائد ، مسن
أيادى السارقين القوت ، وأنتظري : ترى كيف التروس تدار ، كيف
القمح يزرع ، كيف تأتيلك الوجوه السمر ، وجهى ساعد فى الصخر ،
وجهى منجل فى القمح ، وجهى عاشق .. يأتيلك لأكهة .. فكولسى
ساعة ببتى ..

وكولى مضجعى .

قبل العصور - أنشودة أولى

منطلق سهماً

مخترقاً جدران الأصوات إليك ، إليك الرحلة ، صوم الأعواس
الأيام المشنوقة في تاريخي تتأرجح بين العيلين ، تلوم ذراعى
المشلولة ، ماء الوجه ، القدم المجنونة ، صمت القلب ، القلب
القلب حدائق تتفتح ، تختال .. ، القلب المرأة .. انتهى لى
إنى أدعوك ، أمد يدي إلى آخر طولهما ، أدعوك ، نذرت القلب
لعينيك الخضراوين ، لوجهك ، وجهك ملتفت عني ، لا يسمعى
وأنا أصرخ .. أصرخ ، أخرج من آخر صوتي ، ملغيا فيك أنادي ..

ستجى من الأيام الأيام العرس العيد ، يعانقنا البدء حصاداً ،
أعلم أنى يوما آتيلك مواسم ، أنشق على كفيلك ثياباً للأطفال ، رغيفاً
أنشور غيغين فأربعة فثمانية حتى تشبع كل الأفواه .. ، أحيثك
ظماناً كال موج ، عتيا كالرياح ، سها منفرداً كالنجم ، أعانق فيك
مواعيد العودة للوطن الغائب ، كان ارتحل الوطن يحجب الأفاق
بنقب عن رزق ، كنا نلتظر العودة في جوف خنادق تعرفنا بسعال
ليلي (كنت نبوءة أيام العشق الشتوي ، وقفت طويلاً في البسرد
المحسوب عشيقاً مرتقباً وجهك ينهد من بين وجوه التلميذات
حملت قصيدة شعر من عيني كانت رأس المال وغبت ، رسمت على
زبدى قلباً يطعنه سهم) ها أنذا آتيلك الليلة ، ها أنذا منطلقاً
سهماً أخترق جدار الأصوات إليك ، أنادي ملء الرياح ، تنادي الرياح ،
أنادي

يخففني صوتي

انتظريني حين يعود الوطن الغائب ، أحمل في جمعتي ميماداً ،
أحمل زاداً وعتاداً ، في كفي : كيف الحال ؟؟ انتظريني في
ميلاد الطفل : أها ، في خوف الأيدي أن تمتد لأخذ الحق : يسداً ،
في الأسس : غداً في الصمت : لسانا ، ها أنذا منطلق سهما ،
مخترقاً جدران الأصوات إليك لعلك تلتفين لصوتي .

أنشودة الانفجار

ها . . قادم كالنار مندققا على دربي ، أعاند كل ماسنته فسي
الأرض الجهات الأربع ، احترقت ثمار العام بعد العام ، فأشتعلت
جذوري ، صمت : لاجدوى ، قتلت الممت : لاجدوى . . فثسوري
يابدور العام ، كوني غير مألفت فصولي ، غير مألّف الشحر .

كوني تباشير المطر

كوني قمر

ليست له لغة القمر

كوني حروف النار ، تجدع ربحها أنف الغشاء .
كوبي رداء

سحوي تباشير السماء

ويسير في الأسواق يحمل سلة الخبز الجديد

كوني ابتداءات الشر

وتحرري في ساعة الإصرار من ماء الملامة

كوني العلامة بابدور العام

كوبي صرختي . .

كوني العلامة

أغنية للمصباح

شعر صبرى أبو علم

ياندما، الليل ويارفقا، السهرة

الليلة نمرج .. نلهو

نله .. "النرد" ونستطلع برج القوس

نسهر حتى نلقى وجه الشمس

ونودع ليل الأمس

فقفوا ساعة يأتينا الصبح

وانقضوا

حتى لا يعلق طرف الأمس بطرف الشمس

فالغد يأتى ليس كما كان يجىء

- يختال وبمرح -

لكن يشهر رمحا ويفود براقا

يتنكر لرجال الظلمة والأيام الجدباء

ينهل بالرمح دموع الجبفاء .

ودما، الأبطال المنتصرين

فيلون ماء النيل بلون الأرض ولون الحب

ولون الأيام المخضرة فى عيني طفل

نشيد الحب

شعر : مبرى أبو علم

أصرخ .. من بسمع صوتى

أصمت .. من بسمع صوتى

والوادي بين الحبليين بشى

، سمع الصوت ، صمى الصمت

يسود الصوت لاد الحس

—————

يا بلدى .. نجمات الغربه فى قلبى ماضات يومنا

وحنين الطفل لاعشاب الغيط تراب الأرض ، رفاق البدء يصاحبني دوما

ومياه النيل حلاونها قد تركت فى شعبي وسما

ونشيد الصبح بمدى متى يفر ددر غما

.....

مصر التى فى خاطرى أرضا وأحابيا ونعمى

مصر التى فى خاطرى شمس وظلا وأشجارا ونجما

مصر التى فى خاطرى تهب الحياة لمن أراد الخلد يومنا

مصر التي رسمت لنا التاريخ رسما
مصر التي منها تعلم من أشاع اليوم علما
مصر التي باتت بأفلعنا - بهجوف القلب ترعى
نسعى النهار مجاهدين ومصر رغم الجهد تسعى
عشنا بفاخر يا بلادي ألسا كالزرع زرعاً •

هذا ترابك يا بلادي في جبينى
بلون التبر حيناً وحيناً كاللجين
وأعزف بالدماء نشيد حبي
ورغم الدم تعزفه عيولى
فها تروا كل أحلام الصبايا
بوارتال اليقين مع الظنون
سأفرش ساحتى - قلبى - زهوراً
وارويها بأنصار السنين
وأجعل كل نبضاتى جنوداً
تدافع عن زهورى ، عن يمينى

لسيناء المجد

شعر : صبرى أبو علم

الشمس فى سيناء كالشمس فى الافصر

فشعاعها يلسع ، ومياؤها يسطع

والحب فى البلدين قنديل على المعبد

تنلى الصلاة بساحة الكرنك

فيرتك النساك شعائر العودة

" ياسانت كاترين السلام ..

الحب قد يأتى ولا يرجع

وقد يرجع

ابزيس تسهر فى المساء على الضفاف الدامعة

تصل الضفاف لأوزوريس كى يرجع

الموت فى سيناء لا يأتى كما يأتى

الموت فى سيناء صلبان على الرمل

ونوبات فجائية

تتحمس الاحجار قبل الروح

تقتلها علانية

العار ياسينا للهكسوس ان دخلوا وماعادوا

المجد يا احمس

المجد في سيناء للآتين من أرض النبوة للربوع والمسلمة

للقاشمين على الدروب اشارات وآدانا

للمناشرين على السلام سلاما

المجد لابن العاص

المجد يا عمر.. لله يا عمر

يارا الذين بهيج الشمس السخية في ساحة الأقصر

تترقبون الرب في صمت وأمنية

ونعددون لزفة اللقيا مرامير وانشادا

والمجد تنتظرون في الموت والعودة

المجد بامصرى أضحية تحت الشمس أن نطلع

المجد في سيناء للقتلى والجرحى وللدانات في المدفع

المآذن تبهر في غابة الأعمدة

هجر / أحمد فضل شبلول

صوت ١

أنت وحدك في غربة الأرملة

والعصافير جاءت صفورا

فهل حدثتك عن الوشوشات التي في المخالب؟

والنوارس مرت أمامك

لا تعرفك

والمآذن تبهر في غابة الأعمدة

بين عمود النيون،

عمود السواري،

والمثذنة

ليس غير البيوت القليلة،

بعض العدائين،

الادعية

صوت :

أيها الحارس الملكى البيظ

جئت من قاع تلك المدينة ،

كى أشتكى

للحواشيظ آذانها الماغية

وأنا ..

لى عمود السوارى ،

وتكبيره فى السماء

وتلك الشواطىء

لا أبتغى غير ذرات رمل

وكسرة خبسر

أداوى بها جرح سنبلة

سقطت فى صفير الرياح

صوت :

كنت وحدك فى ساحة الروح

حين التفتنا الى ذرقة الأبخرة

كنت وحدك فى دهشة الاستلة

في الحنايات تلك المخور
وفي لبخة العنقة المبخرة
بينما تعبر البحر لجة من أسى
تستقر على قمة الأعمدة
ليس بين عمود النيون
وهذا العمود
سوى ذكريات تمر
عروب تكرر
وجنود تفي
وخطوة هذا الزمان العتيق
وهبة تلك الليالي الأخيرة
أنت لا تبغى أن تمل
المآذن تغلق أبوابها
لا تريد من الشاطئ المستحم
سوى ذرة مدرمال
وكسرة خبز

تداوى بها

جرح سنبلة

سقطت في صفيح الرياح ٢٠٠

مسوت :

كنت وحدك في ساحة الروح

تحت ظلال الصواري

بينمسا لخطوات الشمس

تدوس القوارب

في كل فجر

ظلت تنادي على طائر الأمس

في كل حلم

كل مكان

ومرت رياح الشمال

وأنت تنادي

وجاءت عاصف هذا الزمان

وحطت على همجات الرجال

وأنت تنادي

تري من سترك منزله
في الظلام
ويهبط
كي يفتديك

موت :

كنت وحدك
أصبحت شعباً على الأرملة
يكنس الآن
أو يختفي في ظلام المقابر
والأهجرة
بيدما البحر يضرب شاطئه
ويزحزح أحجاره الصابرة
ويشد الشباك الي البر
في عنفوان
وفي لحظة تأثره

احمد فضل عهلول
١٩٨٦/٦/٢٢

شهيد

(الى روح صديق أغلى سنوات العمر فوق
رجال الوطن الشهيد • سمير فؤاد • أحد شهداء سلاح المهندسين
في أكتوبر المجيد)

شعر / أحمد محمود مبارك

وكان يحب الشروق

لذا ،

كانت الشمس تولد داخل خلدقه

والتلال المحيطة لماتزل تتشاب

وتسبق عيناه

عين النداء النحاسي

يرقب بدء احتياج الشعاع

حصون الغياهب

وكان يعيش القماش

ويكتب فوق غلاف الدخان

وفوق قماش الخيام

وفوق كعوب البنادق

تفاعيل عشق

وشوق،

لذا الثرى القدسى

المحاضر بالويل

والليل

والأخطبوط الذى يتمدد طى المياه وطى الخنادق

٢ - شهيد

وكان يكابد

ثيوما من الأمس،

نصبح دلتا البلاد بلون الموات

وتلقى على النيل سبيل الخطوب

تغطى عيون أبى الهول

تعلل "سحنة" رمسيس بالكدمات

إلى أن سرت فى الرمال

دماه قميصه

تفاعيلها نغمات الرجوع

تلتها الروابي السعيدة
بهففة الراية المستعيدة
هديل الحمام لهرج القلوب
التي طال فيها نشيج
المواجد

فإن نكتبوا عنه ألف قصيدة

أريج

قصيدته في الربوع

سيبقى وتغنى جميع القصائد

شعر / أحمد محمود مبارك

قبل الشروق

شعر / احمد محمود مبارك

كفكفى دمعة الآن

حان ،

رحيل الزمان الحزين ،

وحان ،

اياي هديل الحمام لسمع السنين

وحان ،

مرور شفاء الربيع على صخرة الياسمين ،

أنها رحلة العمر ،

جبت الدروب التي .. كل أنهارها ناضبات

وكل الثمار بأشجارها جمرات

وكل الهواء بأرجائها .. زهرة من لهيب

وجبت البحار التي مدد الأخطبوط

مئات الايادي بها

والهلاك يعيش في ماشها

والظلام استوى حاجبا شطها

ثم أصبح لم يبق بين تلامس رمش ورثك في قلبه ،

غير درب قريب

كفكفى دمك الآن ،

آت اليك

ويمحى خطوى شعاع ،

يزيل غبار القتامة عن وجنتيك ،

ويمصر تلك القيود التي أرهقت ساعديك

قبل الشروق

ويذر عارها سور

على ضفتي مقلتيك ،

- ٢٧ -

وبين ضلوعى يداع
سيكتب فوق جبين السنين
لكى يقرأ العاشقون
إذا ما طواني المنون - حكايا
تعيش برغم لزوح قطار الليالى
وتطعم ضوء اليقين ،
إذا ما اعترته غيوم الزوال ،
وتلقى النذير على مسمع الظالمين

شعر / احمد محمود مبارك

المهر

شعر / أحمد محمود مبارك

خطفوها . . ذات الجداول لما خدر النوم بالعيون استبدا
دونها البید والغراس رماح كل شبر أحالة الهول سدا
نرمق الأفق بالأمانى فتعشسو ويمير الفراغ سجننا وقيدا

• • •

دالك مهر فوق الرماح وحيد يتحدى العنون كى تستردا
ينظر المهر حوله لأصحاب فر من ثار قبله أو تسردى
غير أن العيون بالعزم وقد وموار على المدى ليس يهدا
أيها المهر بعد تلك الروابي شجر الغار قدنما وتنسدى
والنجيمات فى بديها وشاح للذى يرجع السليبة يهدى
أيهدا الجسور كم من رماح لم يكن نملها لغرمك ندا
فامض وارم بالعزم دوما بعض درب لما يزل يتحسدى
ليس بعينيك أن تولى رفاق ليس بعينيك كم جواد تردى
بكبر المجد أن مفيت وحيدا ما أعر الجسور إن كان فردا

شعر / أحمد محمود مبارك

قصص قصيرة

رجب سعد السيد

سعيد بكر

سعيد بدر

نقش على جدران كهف الخوف بالحلم : رحيم محمد السيد

حاولت أن أتمدّد مسترخياً ، التوقف يصيبني بالضيق .. الغربية
في حفرتها تحت شبكة التمويه تبدو كجثة هامدة ، لست أدري بالضبط
سبب تأخرنا ، لعله ارتباك على المعابر ، أو لعل العدو بدأ بفيلس
من المفاجأة ويحاول الغفط .

- " وحد الله يارقيب " -

محمد كامل ، سائق العربة ، لا بد أنه كان يرقب سرحتى الطويلة .
صوته المزعج أهم ما يميزه . بفلس هذا الصوت كان يغنى لي سؤال
(شفيقة ومتولى) ، وكان حين يأخذ الأفعال يستحيل عزيباً
مؤثراً ، وكانت الدموع تخلقه وهو يروي المشهد الختامى .
كان منجها إلى العربة ، فعرفت سر تركة لعفرتة .

- إلى أين ؟

- الجوع كالفسر ...

- كما لو كنت صائماً ١٤٠٠٠

- بابوى ا .. ربك عالم وعافى .. والمفتى قال " أطروا " .

- طيب . ولكن .. على مهلك .. لاتكن قاسياً .

- لا تخف يارقيبنا . خسر ربنا كثير .

ويبدو أن مناقشة أخرى من نفس النوع قد تمت بين محمد وأحمد بن عبد
فقد سمعت الأخير يوبخه على إخطاره ، ويحذره من الاسراف .

كان أحمد بالعربية . أمر - منذ بداية التحرك - على البقاء خلف
 " الجريشوف " يسيطر عليه حلم أن يسلط طائفة . أدركت أنه فسي
 معركة غير متكافئة مع الخوف منذ أن مرقت فوولنا طائرتا الدانتسوم
 يبدو أنني قد تسرعت في إصراري على قمع إلى دوريتي . لم أشأ
 أن اكلمه . لن يلبث أن يتطعم ضد الخوف بهجمات خوف إضافية .
 ليس وحده الخائف . أنا أيضا خائف . أرى الآن مدى حدة الشفرات
 التي كنا نقطع بها اجسادنا . تثرى في الذلي أصوات فرقة السباط
 نسوى بها ظهورنا . يتجسد أمامي ذلك التمثال المسخ الذي
 شهدناه بأيدينا وعلينا بطين اليأس بسطا منه تطالعنا صباح مساء
 في الشوارع والبيادين ، في بيوتنا وعلى أسرتنا ، وفي محاجر عيوننا .

أيها الفارس المرتعش الآن ، بالأس القريب .
 نه شهدتك الساحات محمولا فوق الامتاق حجرة
 بتارة تطلق خيولك في كل الاتجاهات تطأ
 بسنايكها كل الرؤوس ، توزع الألوان والأجناس
 . . تصم وتبارك . ها أنت تواجه الفسول
 ثقلك ترسيبات الخوف الكنسية من " حجرة
 الفئران " بالمدرسة الابتدائية ، حتى أشعار اللكس
 السوداء . هل سيلوى " الشاطر " على حمائل
 سيفه واقتحام الكهف ، أم أنه لن يزيد حسن
 مجرد (مقلة صباح) لا تكفي لسد المسافة بين
 انياب (أمنا الفولسة) ؟

أطلق صوت آلات الانذار مع القحام الهدير . إنغارة أخرى . كانت
الطائرات عالية جدا رأيناها بصعوبة - كندفات سحب بيضاء
دقيقة . كانت فوقنا تماما ، لكنها تجبن عن الاقتراب من أدرعة
الصواريخ . امتنع أحمد سعد - بتعلل تام هذه المرة - عن
إطلاق مدفعه ولكنه بقي خلفه متحفرا .

حين غربت الشمس كنا لانزال في حفرنا . وكان الطيق قد بلغ بعض
مداه . فتركنا الحفرة وجلسنا بالعربة . أشعلت سيجارة أهدت
أدخنها بشراة .

..

سبح الليل في حبك مؤامرتي على . كان موجودا كفيف لحظة صاح
محمد كامل :

- يا أم هاشم . ركبنا الجسر .

قهرت فوق الأسوار . حبكت رقائق الملب تحيط مدرى . جهزت
اشوطى وكلايتى . ولم أس أن أتمتم فى سرى كل مدخراتى من
الأدعية .

.. قادم إليك أيها الفول . أعرف الأرض تحت قدمى . وحيسن
اقف بهابك سألنى فيك أن تخرج لى ، فترد على كلماتى الأمداء .

أعرف أنك موجود وأنتك تتخبط . أعرف أيضا أن جزءا من تكوينك
لا يزال ينظر من عيني ويبيع في رأسي . لكني أملك دواشي . مرحسى
أسياخ النار . مري في عيني . جوسى فى أقبية المخ . اقتلعسى
أشجار اللام النجسة تلزف معها كل خلايا الغربة فى الوطن .
الأحزان - النكسة .

وطأت الغربة الضفة الشرقية ، وأنطلقت فى (الرتل) بسرعة
أطلقت ومزاج محمد كامل كان ينفله بكشل ضابلى . كنت صامتا
أتعجب من نفسى : أنا لم فأهتلع آلامى . وحين يجيى الفرح ، يجد
قالب الجمود .

تمايح الجميع حين عبرت عربتنا الجسر ، كنت مشغولا بالتكشير
فى وجه رمشة الفرح .

استجبت الى ثرثرة محمد كامل . ولم تكن ثرثرته هذه المرة وسيلة
لطرده النعاس . كان صوته يتدافق حيوية . كانت عيناه لا تكلان من
استطلاع الطريق لعربته المنطلقة مظفاة الميون .

ويبدو أنى قد غفوت قليلا . فقد تنبهت الى وقوف العربسة
فجأة . وجدت محمد كامل يفتح العربسة وينزل ليزود المحرك بكمية
مياه اضافية . بهتى أحمد سعد ليسأل عن سبب توقف العربسة
لم يترك لى محمد الفرصة لأوضح له . انطلق صوته يزعق فى دعابة
خشنة :

- اسف للارعاج يا بك ا

القل غطاء العربيه ، ورجع الى مكانه . رجع يشاكس احمد سعد
الذى كان يجلس الى الخلف منه .

- طبعا . . . كلكم ليام . وانا السائق الخصوصى . حتى الحرب
تنامون فيها . . صحيح عساكر " الكيما " .

لم يكن بالطبع ، يقصد أكثر من مجرد نكتة فاقعة . كنت أفكر
فى جدوى لغت نظره الى عدم لياقة مثل هذا الكلام فى هذه
الظروف . غير أن احمد سعد انطلق متحديا :

- ها . كأنك تسوق رولز رويس

- ايه ؟ ا على النعمة . عزيمة هذه أحسن من الروز رويس
التي تتحدث عنها .

- كأنك شفت الرولز رويس ؟

- كثير . كل اجازة أجدها فى المحطة .

- ماهى ؟

- عربات النوم فى القطار المجرى

فهيها . حتى ابراهيم ، الذى كان يتابع مايجرى . أخذ يقهقه
فلما سأل احمد سعد - بخبث - عن الرولز رويس - قال أنه لا يعرفها
لم يسأله أحد عما يضحكه - اذن - على جهل محمد كامل . فقط
كان جوابه دعوة جديدة لأن يقهقه جميعا اكتشفت ساعتها أننا
محتاجون لأن نضحك من أعماقنا .

عرضت على محمد أن يستريح قليلا فرحب على الفور • تراك لى
عجلة القيادة ، ورجع الى الخلف - تعدد ، وسمعت شخير •

كان الصمت غريبا حقا • بدأ فجأة وطال • ونحن ننهبسب
الطريق دون وقفات • كنت أتنفس جيدا • عضلات وجهى لسم
تعد متصلة • الجو يزداد بروده •

نحن نقترّب من ساحل الخليج لنسير بمحاذاة فى اتجاه الجنوب
هاهو الهواء • يحمل الى أنفى تلك الرائحة المميزة ، رائحة البحر
فى مدينتى الحبيبة • أتذكر أننى لم استمتع بالبحر فى الصيف
الفاث • تبرز لى " محطة الرمل " • تجمعات الاصدقاء " على
كيفك " و " تريانو " ودقات طبول الزفاف كل ليلة فى مسرح
تروبيكو " • عم السيد " بائع الصحف ، والثمانون قرشا ديلسه
على • " محمد حافظ رجب " وقصته " حديث بائع مكسور القلب "
عينا ذات الجداول الذهبية فى لوحة " محمود سعيد " كل ذلك
مغلف برائحة الملح واليود • تحسها أغشية الأنف • تقترب منى
الآن • أخذت أرقب خيوط النهار الأولى تولد • أحاول أن أنجسو
بنفسى من وحلات التشاؤم رأيت من قبل ميلاد النهار فى الصحراء •
مئات المرات ، ولكنى أراه اليوم مختلفا • كأن أشعة الشمس جديدة
مفسولة ، وكأنها من مصدر آخر غير الشمس • • كأنها لا تشرق على
كل تلك المساحة الشاسعة التى يواجهها من الأرض • بل تبرز فقط
من تلك النقطة بعينها لترسل أسعتها الخاصة الى هــــــــ
البقعة من حولى تضيئها لتنعكس فى عيني ملامح الطريق الوعر

والتباب البعيدة وزرقة البحر التي كنت أتمنى لو كانت أقرب
وكان ضوء النهار يحدثنى : هذه هى سينا ، التي سمعتها أغنية
فى آخر اجازة لك قبل الحرب : " سينا .. يا شراع السفينة .

..

التوقف مرة أخرى الضيق التشاوم .

حاول محمد كامل أن يخفف من توترى . سألنى عن رأى فى كوب
شاي بالحليب " تغيير ريق " فلا أحد فىنا صائم اليوم . وافقته
بصب معداته وراح يعد الشاي وهو يغنى .

لم يكتب لهذا الشاي أن يشرب . توتر الموقف فجأة . ولزمنا حفرة
كنا نعاني بعض الصعوبات . أفزعنى منظر عربات الخدمات الطبية
حاولت أن أطرد هواجسى ولكن الانتظار فى الحفر طال . ضقت
بهذا الدور - برغم أهميته التى أعرفها جيدا - ضقت به وإن كنت
أتمنى ألا نرغمى الظروف على أدائه .. فأنا أعرف معنى (ضربة
الغاز) ، فإذا أسرفنا فى التفاؤل وتفاديناها ، فإننا لن نسلم
منها قيدا قد يستخدمه العدو ضدنا . وهكذا .. أرجو ألا يسألنى
ابنائى فى المستقبل عن دورى فى الحرب ، لأننى - فى حزن شديد
سيصف حتما بلامح وجهى الشائخة - سأذكر لهم أننى دخلت
الحرب أنانيا طامعا فى غنم خاص ، واكتفيت - فى النهاية -
بدور المشاهد .

أخيرا سقط المعمار الكهفي ، زال قناع الفول . سحت في ارجاء ،
النقطة الحصينة . أمر الرفاق على حمل التذكارات : ملايس
فوارغ الدانات . . مهمات الرفاهية بقيت واقفا في قاعة فسيحة
تمسح عيناي جدرانها . . تقرأ نقوشا غير مرئية . . تحاولان
ترجمتها . أخرج سكينى وأسجل على جدران الكهف - المسلة :

ايها الجنير المنتظر . . طال المخاض . . احتملناه

ونحتملسه

لكنك يجب أن تكتمل لتخرج الى الحياة قويا مردها واعداد

رجب سعد السيد

التشت رؤوس لعمود الحلقة

الجزرة • الدائرة • الكلمات

- اخلق فاك يارجل .. فمك يخرج مراصير

طويلة هي الغابة .. تدور .. من خلق لخلق آخر .. تدور

- هذا دخان بها أعمى .. المراسير تطير فوق رأسى •

متناثرة في الكون الشهابيك .. تتفخم •

- لعب برأسيكما المخدر حتى يتما تحسبان الحجارة مراصير ؟

- يا جماعة • يا جماعة .. عه .. عه .. عه .. ان الذي يدور في

الحجرة ما هو الا الخفافيش • لاهى الحجارة ولا هو البوس •

- اقسم بتربة امى .. أن السابح في الجو مرصورا

والقم الشدق البوصة .. ابتلع الصدر الدخان .. حاصرته التلافيف •

احتجزته المنافذ - امتمته الجدران .. أخرج من فتحتى المخار

دخانا كثيفا ..

تدلت ادنا المتلقى للبوصة .. الغمض عيني له المفلحين ملا

الورثتين •

- يا اخي قلنا هذا طائر الرلواق •

- هذا خفاش .. زوجتى تطبخ الخفافيش على أسفار غالييل •

أقول لها هذه خفافيش تقول لى زغا - زغالييل .. يا امرأة زغالييل

تقول لى خفافيش •

كدست على الأرض وبجوار الموقد قطع الحشيش .. تراصت
على حواف الحجارة فتأفيت المعسل

- امرأتك كانت مسطولة .

- أو كانت مقفولة

- يا جماعة .. يا جماعة .. فعلا .. لماذا كل الشبابيك مقفولة ؟
لن ينعشني سوى هواء الخارج .

- حتى لا تخرج الخفافيش

كركرت في دواثرها الجوزة .. القمت البصوة كل الأفواه .. انبسطت
الرؤوس فوق الابدان القاعدة .

- اذكر الآن سنوات الحرب .. كان الدخان معبقا صاعدا إلى
السماء .. مثل الآن تماما .. وكنت في خندقى .. وكانت الطائرات
المفيرة تفتحم الجو مثل هذه الخفافيش .

- يا بني هذه مراصير

- يا جماعة .. يا جماعة .. اتذكرون ابن المفيرة ؟

- نعم .. ذلك الواقف على قمة الحارة

- وذلك القاعد خلف الشباك المقفول

- المقفول

- تلك الطائرات المفيرة كانت تقتل خوفنا

- من المباحث ؟

- من مكتب التمويين ..

- ورجال الجمارك ..

انتهض زى الخفافيش عن وسادته .. لغض جاكنته الشمواء ...
راح بدعك اطرافها .. استمر فى الدعك والتلفيش حتى تحرك
الاخرون من قدامته المنطعية .. حين فطن الى استمرار الدعك
انطلق بطارد الخدش .. كان الخدش يتحرك على الحائط ..

سحق عباس المراصيرى .. ثبت نظارته البنية ذات السياج
الذهبي .. انفرط بطارد المرسور بكفه الخاوية من الجوزة لكن
المرصور يتحرك .. لم يزل .. فوق الحائط ..

- قلنا .. نفتح .. نفتح .. لفتح الشباك .. وهو يخرج

- لابد أن نغلقه ..

انهمك مدهولى الطائرى .. مرتبكا .. فى تثبيت سياج نظارته
السوداء .. واتبلاع ريقه الجاف .. فحك من نفسه ويده المعروقة
تواصل التثبيت ..

- يا جماعة .. يا جماعة .. افتحوا الشباك ..

ترك عزوز المتجهيم وجهه بكدس الحشيش وفرغ فى محاولة
القيام مستندا بيده المضمومة على ساقه الملتوية معالجبا
ومليها قطع الحشيش تحت اسنانه ..

حين استقام بدهنه النحيل قرب رأسه القاشم اللمبة المدلاه
والمطفئة الى جوار الابهاجورة الحمراء . فارتعش على الحائط
الخفاش . وتراقص المرمور . . تفاقم فى الصدور الغيسق
المسطول .

أياتى خفاش لعين لينزع من الادمغة الانتعاش ؟

انتفض عن المخدة جسم مدهولى . . فتح الشباك على مصراعيه
فى المقابل . . استقام البيت القديم منهوكا . كان يتلسوى . .
تطايرت الأدخنة ودارت فى الحجرة مع ربح الليل الآتى ليفتح
الباب الموارب . . تطايرت اطراف الايشاريات النايلون
والقمصان الحريمى فوق الحقائق الجلدية الضخمة المتراسة
فى ركن الحجرة الى جوار السجاجيد الملفوفة المستندة على
الحائط الساقط بياضه دارت الادمغة مع التيار العاتى . انطلق
البعض يحمى النايلون .

دفعت اليد حاملة الجوزة المرمور بقوة الملت الكامن على
ذراع حامل الحشيش . . قدغت الايدى الجوزة بالخارج . . تلاقبت
الايدى حاملة الحشيش بأفريز الشباك فتألمت ولايزال على
الحائط الخفاش يتراقص وكلما هزت الريح والحركة السريعة
اللمبة المطفئة . . ضحكوا . . ضحكوا . . ضحكوا . .

ولامسوا السجاجيد وقمصان النوم.

افتح الشباك :

قليل البهت مكتوم في أركانه الصمت يتوق لرنه الاصوات.
على الأسطح والدهاليز- يخرجون- تفجر في الأبدان- الجمر
رغبات

النهارات الناشئة والمنسحقة تحت الشمس المحمية وعروق الخشب
والسقالات وقوالب الطوب الابيض وليولة الاسمنت والجبر وبداية
العمارات في أرض الغربة.

وحرق الصدر بالدخان.. يقهرون الليل والأبدان والتعب ..
تأتي اللسوة بالاكواب والاثواب واساور الذهب .. يخرجون
القوة أوراقا طوتها الايدي وجيوب الحقائق .. تبهر الأعين
فتتهاوى في زوايا الحقائق الأعين.. شاردة .. رافعة أممسة
الاجساد اعجابا وتشويقا .. ووحى مخزون الغربة.

افتتح الشباك :

ومد العلق من الاضلاع .. فعلى الدهاليز المترشت الحصى
وليونه الاجساد لتتلقى تحت القيط والظلام - نسوة الاخريين
فوق الطوب والسقالة - ضربات رجال عاثدين كانوا يطاردون في
" غرزة " البدر و طائرهم الوهمي .

افتتح الشباك :

فمن جحور البيوت قصارا القامات تخرج السحالي .. فسى
الليل الشاحب لونه .. تجوس الخفافيش في المستلقفات
الناثئة برغاوى المايون الأسن والطين صرامير تنقنق .. وقططا
تلف الأزقة .. تحديق نباح الكلاب المتقطع . سقب بانسف

زليل وسط القمامة .

عن شيء يؤكل . . وعن ركن - تنقب - للاقامة .

أتذكر صديق المكان . . الزمان . . والحجرة . . والسقاية

والبئر ؟ كيف تهاوت به الغفلة . . وكيف انضمت على أضلاعه

. . في يوم حار - جدران البئر السحيق . . ؟ أكان متعبا . . ؟

أم كان يدق في ليالي الصمت المسامير ؟

أكانت معه في الحضان امرأة . . زوجة ؟

الم يكن شخيرة الزاعق في أركان الغرفة يقلق نومك . . ويقاوم

شخيرك العالي ؟

ويحفر يديك لتشعل في عز الليل الوابور لتضع حطب الدرة

وتعد لرأسك الممدوع الجوزة لتخمد المخ النابض تعباً ؟

ولتفتح الشباك . . ولتبصر النساء على الدهاليز يفاجعن

الربح فى انتظار عودة الرجال • يعز عن كبت الرغبات المحمومة
ضحكا وتلقيحا لاحاديث يبعثنها اليكما عبر الأضواء الباهتة
بعدم المرأة والشهامة والبرود • امكدودا مات ٢٠٠
أم شحت رأسه التأوهات الملتاعة؟

افتح الشباك فحر الليل ملعون

- ٠٠ هال ٠٠ ورميل الغرفة • والغربة • فوق الحمير مطروح ٠٠
- هات العجل والكرات وطبق المش وغدبى ٠٠
- جفاف الحيز يمدنى ٠٠
- ذلك مانقى من أفران انسيل ٠٠
- الم يزهدق من المش والكرات ؟

- خبز البلد الشمس .. اكثر جفافا .. كنت تأكله ..

- هذا زمن فات ..

- وما الذي جيد ؟

- خبز المدينة أكثر طراوة ..

- سوق البيت في الصعيد خوص ؟

- ونساء كالحفر ..

- يلبس البراقع والطويل ..

جانبا حبيت المش والكرات .. جفاف الخبز .. سهمت لسي

شعوق الحائط نظراتك .. قتلت بيدك المتحجرة مرصورا ما جانا

فوق سفح الحلة يتبختر ..

انفجرت عن وجهك الملد نصف ابتسامة .. كان صوته يأنيسك

من بعيد ..

- أرايت الريح وهو يلعب بأطراف الجلابيب

وابتلعت السمات المقبلة من الشباك المفتوح .. ويقول ..

٩٠٠ - اتسع فحاكاتهن الرنانة

ومد العين نحو الحارة وسأل ربه .. فحككت الأسف يطويك ..
قلت .

٩٠٠ - وكيف لبلى السلف الخوص

والكفى على بطنه .. ليلتها .. وبام ..

وعادوا .. امتطوا السحاب والسفائن .. جاءوا .. الانبهار في
العيون وفي التاكسيات الحفاش .. يبصرون الخلق والجيران من
خلف نظارات الشمس .. وفي الليل .. والمهابة .. يمدون
الخطى في الأحذية الجلدية بثقة .. واضى الكوف فى
الرؤوس المكوية .. أنوما مقصوفة وخلفاء يتبخثرون فى ألوان
الثياب المتناثرة تحت الجلد والشمواه .

فى كل الصباحات يأتون من كل قاع فى المدينة .. يقصدون
الميدان المسبح .. جماعات جماعات .. يلثمون المطاخير
بالتلافيع والمثالات .. يخبثون فى جيوب اللفاطين ارتعاشات
الامابع .. مكومين فى تداخل .. تتكى على جنوبهم القماعى

والمجاري ف •• يجرفون العرق في القصاعى •• ويشدون اوتار الجسوم
الى الاعالى •• يسكبون فى البنايات العرق ويلزلقون فوق السقالات
يجيئون ••

بنشدون أغاني المبر •• البعاد •• والتعب •• ويشربسون
الدخان •• لكى الشمس تشرق ، تأتى من خلف فنادق المييدان
والبيوت •• تطل فوق الجسوم - منتظرة مقاول الأنهار - والبرد
ينداح •• يمتط الصبح ويستطيل •• تتشاب الحلوq وتهرش الرووس
تحت العماثم وينتظرون ••

وحين يغرب النهار ، يتعلق الليل بأجفانه •• ثقيلًا •• فى تراخى
التعب والنهار •• يحمل منكبه القفه •• متاعًا •• والرأس المشقو
تتداخل فيه الرؤية •• والعيون •• وينتكس على باب الحارة ••
يفض النوم الجفن •• بعد تروش السقالات وعروق الاخشاب •• وضربان
المعول فى العمق •• ويدس المال أسفل الحصير والوسادة القش
وعويل الريح وغبار الاسمنت الصاعد مختلطا بذرات الجير المحرو
يمفرون فى الأذن ••

نازحًا من قاع الصعيد •• جاء يتلمس فى عمران المدن المال ••
يرجو فى أزمنة غلاء الارض البور مكانا يلبث فيه •• قميصًا
أوقفنا أوبرسيما كأمثال جيران الناحية •• رحلوا بعيدًا ••
نأت بهم الارض والبلاد •• تواروا هناك حيث تكون الشمس
لهيبًا •• والصحراء فراغا والقطران متاحا لكل عبيد القسرس
المغموس بهوان العراق المنزاح تحت الاقدام ••
مقصيا كان جوارك •• لاتجتز بذاكرتك الهشة حكايات الحارة ••

افتح الشباك :

اقتهر رجال الشمواء والرمضان .. الفتى الساق على الساق فظهرت
الجوارب النايلون والاحذية الجلدية اللامع . ترنحت فسى
النوافذ أعين النساء .

فنجلت .. نزعن عن رؤوسهن الاقمطة .. وعدلن التبريحات
ووضعن اللبان حتى ولت الوجودة القاعدة شطر النوافذ فتبسمت
وافترجت الحلوق وبان ذهب الاسنان .

رفعت البيوت الواطئة وعملت الآلات فى ذلك الاساسات فالذى
رحل قبل العام بعام فى ذهن الزوجة مات .. وليحى الوقت الرجل
النابت فوق الرصافان ويكفى لحين الزمن القادم وجبات الفسول
النابت .

وتندلك فى الاساسات الاعمدة .. تراوحت فى الطول والسلك ما بين
المتخمر مالا والفارغ جوفه لادخار المال .
...

ويخلق فى وجه الريح الشباك . يلعب تحت جداره الساقط نصف
بياضه .. يجتر خوالى الايام والمرأة تتكور فى القاعة جوار الزهر
تحلب فى المصباح البقرة وفى الليل تحلب من ظهره الحب وتشد
عليه غطاءه الصوفى البالى حتى ينام فوق المدر الرجراج .. وعده
انبلاج الفجر تقوم لتعد مياه الاستحمام الساخن . تسقط ادراجه
وهى .. تمشط فى المرأة الشعر وتلف الرأس بالقمطة ..

اما زالت هى جوار الزهر ؟ تجتر الذكرى مثله .. ام تكون ؟
منقبض فيه القلب يدق .. والباب .. رفيق المكان قد جاء ..
ألم يموت هو .. أعائدا حقا ..

لهض بدله المستغرب .. عدم مزلاج الباب العدى .. وفتح ..

امرأة كانت بثوب النوم الهلها ف يتثنى البدن اللدن فى ميوعة
الصبا . طرقة اللبان بحلقها تجهم وجهه المتحجر وأخذت الارض
عيناه . . ضحكت وقال . .

- اية الخدمة ؟ . .

- وارب فى الوجه الباب قالت

- تسمح بحقنه لحم ؟

- لا أملك سوى قوالح ذرة . .

تثنى الردف يمينا على ساق . . قالت .

- عز الطلب . . أيجاد ما هو أفضل من القوالح ؟

لم يدرك فى اللهجة المفزى . . قال وهويكثر من مواربة الباب .

- انتظري . . سأتيك بقليل منه .

دفعت بها فى فتحة الباب . تلثم . . قالت

- رجلى لا ينام قبل أن يشرب .

- معسل ؟

- شئ كهذا . . وقليل من الملف . .

امتدت بالقوالح يده . . قبضت أصابعها الملساء اليد الخشنة

ونظرت فى عينييه وضحكت . . لكن لم تولج للبدن الناشف قشعريرة

وعمل . . انتهكت قلبه عوامل حقد دفين . . سحب اليد ورد الباب

مبصوفة صديقك كمدا ؟ أم انهارت عليه جدران البئر ؟

اما زالت بجوار الزير المرأة تنتظر العودة . . أم تكون ؟

افتح الشباك

عميون النساء فى واجبهات البيوت تفترش مسكنك الوضيع ، تخترق الجدران
وتتراشق بقلبك الخفاق يرسلن صفائن تكاثفت متكثلة عبر اللحم الرخيص
والدم والتجاويف • خلف كل شيش وباب ألف ضرر س يود سهلك وانتهاك
الرأس فيك • • يودون غرس الأنياب بقلبك •

يقلن وهمس الليل والنهار من الوضوح بحيث يسمعه الرجال المتألمون
- أهو الوافد الوحيد الشريف ؟

- " قطيعة " • • من قلة الرجال فى المكان • •

- " وكسه " يراقب تحركاتنا من خلف شباك ويدخر الفلوس •

والرجال القاعدون فى تألق يرتشفون البيرة والسجاير المحشوة فسى
ابتهاج الوثائقين • • يرفعون حدقاتهم المحمرة نحولك ويصلبون فسى
الأعلى الأنوف • ينظرون اليك وكأنك بعوضه تنهش فى جسام النساء •
ويضحكون • • فيهتز المرصيف • ويضحكون وشربون البيرة • • ويضحكون
فينظر العيال • • ويضحكون فيعشى الغفاة •

ويضحكون فيلتفت العابرون • • ويحاصرونك بالعيون • • ويضحكون • •
وانت انت خلف بابك العتيق • • لم تهتز فيك شعرة • • فرأسك لم يزل فى
الصعيد •

افتح الشباك

فالصمت غلاف يلف المكان بعد لوبات الضحك •

ويشدون من الجوزة القاسيا ، يحسها الغافى بقاع الحارة اعداد المعمارك
ضاربة ستقيم الارض وتقعدها فيهرع بعياله وامراته الى جدران بيتسه
ويغلق وينام •

ويشربون • • تتضخم فى التلافيف بعوضة • تلتف وتلتف • فينكمشون

وينكمشون .. وحين يهيم الدخان بفردون • فيفلق الباعة الحوائست
سندما نكون صناديق البيرة مساند ومقاعد .. وينكمشون • يتسرب منك
الخوف ليكمز اندكاكين فيرسل أصحابها لك السكاكين فانت الواشى •
وانت الدافئ .. ويشربون • ويرونك وحشا كاسرا • ويرونك بيتا ..
ويرونك النرجل بألف ذراع .. تحفر الآبار قبورا • تصعد السقالات
تقذفهم من عل بقوالب طوب .. ويرونك قطعة حين التكديس • يضعونك
بين النار .. يشربونك .. تصاعد دخانا .. تتكاثف وتضيق فى الجوفى
الظلمة ويضحكون .. وحين يوغل الليل فى الرؤوس وتبهو بوادر الفجر
البعيد .. يعتقدون بأنك صرت سراها فى الدخان • لكنك معلق فى
التلافيف .

وتأتى النسوة ويغترشن الأرض ويحلو اثناء نومك المفاجعة تحت الليل
الذاهب فى مداخل البيوت أوفى الحجرات الارضية ذات النوافذ
المفتوحة .

فى الفجر ، يشد رحاله نحواطراف المدينة حيث الابار الناشئة •
واصوات غطيظ رجال الليل فوق الأرصفة والمداخل تتكاثف عالية • فوق
الكتف القفه معلقة فى جاروف حاد النصل يغر السير بقفطانه البوهلين
الكالح .

ناثمون هم .. وانت .. ما بالك ؟
تتفرص اعضاءه تحت شمس الميدان الكبير واخوانه يباتون فى جحور
الفئران .. عربات الليل المهجورة أولاقارب .. يتجازبون الاطراف
الاحاديث المقتضبة المعقولة التى تتخللها التثاوبات • تهتبات
سعال .. ارتجافات .. ضحكات ناشئة وعروء • حين تأتى العربة نصف
النقل ا مصرح بركوب عمال يلقون .. يللى النعسان لعاسه .. الكسلان

كسله .. وشارب العقب عقبه .. يتهافت البعض بكون في المقدمة ..
حيث مستوى رؤية للمقاول ، فأتمس ايام الغربة يوم بلا عمل . يسوم
يرفض المقاول أخذ الكل لكن الكل كان ضئيلا .. تكدسوا في العربة
نصف النقل.

ندلى به الحبل في البئر السحيقة . مظلمة كانت وكثيبة .. عاليه
فوقه العالم .. وحيدا عاربدنه رتيب ذلك الحبل المتدلى السدى
نوالى فوقه ميوطا فارغا . صعودا ممثلا حائرا في القاع .

افتح الـ ..

لقد قتلوه .. صديقك قتلوه .. رفيق الجدران والبيت والبلد .. قتلوه
شحنوا رأسه المشحون بالرغبة العارمة .. وقتلوه .. حجبوا عن عينييه
الرؤية .. ملأوا قلبه فولادى الجدران وتواصوا عليه .. منحوه رآسا غير
رأسه وبصرا غير بصره .. خلعت نسوان الحارة لباس العفة أمامه وهوى
المحروم .. أترأهن ؟ .. أترأهن ؟ لماذا لم نفعل .. ؟

اهمل في القاع جاروفه .. ارتكن الحائط الى جوار القفه واهنزت عافسة
الحبل المتدلى .. فى الظلمة تصرخ الجواب .

أيوجد هنا أيضا شباك ؟؟

افتح ...

امرأتك .. كانت

- اطلع ع ٤٠٤٠٤٠٤

أهى جوار الزير ؟

وجعله فوق الكتف والقفة واقدامه ، يئز السير في الحارة . والاطفال
بقتعدون حواف الأرصفة . . هادية من مزق الثياب العورات . . يتطلعون
في بلاهة . وأمهاتهم الشابات يتقصعن فوق الدهاليز يطرقعن في قفاه
اللبان . .

الفتح الشباك

أترى القوم حول البيت حافين يبصرونك ؟
يزرعون على حواف الازقة السكاكين ويسنون لك الاظافر الطويلة ؟

ويسود الليل الصمت . يفلق بابه الخشبي الهش . ورأسه المكدود مرتجلا
عبر المدن النائية . . يجتاز حقول الزرع وقضبان القطارات . يرسوب حوش
البيت الطيني الواهن . يتسمع للموت المحزون للمرأة المتروكة هناك
تحت عيون الأم الكهلة .

اتتحرق شوقا هي اليك ؟

أم تهرب من بين الأعين حين تنام الأم وتبزل للاغراب اللحم . . ؟
رأها فوق القش تتلوى . . تنهش في بدنها عيون شبقية تمتد عبر فتحات
الحوش . من بين السقف الخوص أقدام الاغراب .

وكان الصوت المكتوم يود الصراخ . . ولكن خوفا بالقلب يجثم فوق الصدر
يقتل فيه صراخه . . وكان الباب الخشبي الواهن يفتح . تمتد منه الاقدام
الحذرة . . يلوون جذوعهم والاطراف خشية ايقاظ راسه المرتحل مرتكن

الحائط .

في القاع صراخ يتلوى . .

والأيدي المقبلة تداعب الجسد المركون هناك .

مشلون الحركة هو . . يضم الاطراف او يتداخل .

تنداح اقدام الانبي في زوايا الغرفة . يلتشون الاركان . .

والخوف يلمه . يرفعون اطراف الحصار . يأخذون نقوده
والاعين الشقية تتجاوز فتحات العوش . وتمد أصابع مسنونة الاظافر .
تتهتك الجسد طريق القش .

كانوا يمتنون بالنقود ، ويفلقون الباب .
وكان رأسه ينتفض من غفوة اللعاس الطارئة .
أسرع في رفع طرف الحصار . ثم اغا كان مكان النقود .
والرأس بموج صرعة غضب . حمل معوله وانطلق يهبط الدرجات .

زرعوا الصمت في الحارات . مشبوحا كان فوق الشهابيك
اقتعد رصيف الحارة قدام الدهليز .
بجاء أن يلتزم الاخوة من أركان المدينة . يلقون جوارك . يقومون من
عزيمتك . يأتون اليك . يمنعون عنك نظراتهم والهمسات .
كان رجال نظارات الشمس في الليل يرفعون قوارير الخمر . يتجرعونه
ويأكلون التفاح وقطع اللحم المشوى في الارصفة المقابلة ويلقون البقايا
لاقواه وكلاب ضالة تراقصت في جزل ذيولها القصيرة . وأقمت هناك
تحت أرجل النساء . وهن ينفخن صدورهن واردة المهن وجمرات النار فسي
المواقد .

وبين انفراج الساقين . مسدودا كان المعول ، والرأس . ينظر الى القوم
في صمت . ودخانهم الكثيف يملأ سطح الأرض .
تهدلت تلافيفه حين أوغل الليل في القدم وسكن الأركان وتراصفت
حجارة الجوزة وتعرت الرواس . وارثحل بعيدا . صعد الى غرفته ؛
أشعل عود ثقاب لينى . لمبة الغاز التي اطفأت . كان الباب مخلوعا
مسروقا .

جالت اطرافه اركان المكان . قلبه الخبز والجبن القديم . لم يكن
هناك سوى الظلام .

لهشت اضراس الفيظ اطراف القلب . . وماج
نقب في الارض عن شيء يؤكل او يغنى عن مسائلة القوم العاديين
اقبى مأكول القلب .

افتح الشباك

لعلم من اطراف المدن الناس . . دعهم يأتون بكل فنوس الآبار والجواريف
والمقاطف وربما يحدث في الرقاب تقطيع فتحمل المقاطف الرقاب
وربما يتفصد صراخ النسوة فتحمله الجواريف .

للا تدع القوم العاديين يخترقون نظام حياتك . . هؤلاء المساطيل نيام
النهارات . . أهبجد من يلبس في الليل نظارة شمس . . اوفى ليل القيظ
جاكيت شمواه ؟

التف التعب بنصف بطانية قديم واسترخى فوق حميرة . وأبهر الباب
المخلوع . ممكن أن يأتوا الآن أن يحملوا بدنك ويلقوا بك بعيدا . . .
فلتفعل شيئا للباب .

القي عن بدنك نصف البطانية وقام حاشرا بين فراغ الباب وظلمات الدرجات
والسياج المكسور .

ويمكن أن تأتي امرأة الرجل الراحل لبلاد الغربة وتنهك فيك عزم حمار
الآبار . . فأكل منك ماء الظهر فلتبقى ساهرا حتى يأتيك الصباح . اليس
الصبح بقريب ؟ تفرقع في ركنه المظلم . والليل الزاحف . . بقى وصراصير
واليوم يلطم نفسه من فوق جدران الكون ويحط بثقله على رأسه الوافى .

افتح الشباك

اتسمع ؟ . .

اصوات الفج الاتى عبر الباب المفتوح ؟ حلم مفرع يجثم فوق المسكن
المرتقب . . كركرات الجوزات تحت الاذرع والارداق . . يتكاثسون

وتستطيل الغابات واكواب البيرة ، ونقض عن عينيهِ النعاس .. زاح
جدران النوم الاتى وقام .. اجتذب الحوش المثقوب الريق الناشف .. نحو
الصنبور امتدت يده .

فلتغسل وتشرب ، وتنتظر المصبح .
ادار الصنبور .. كان الماء مقطوعا .. انتظر فى ركنه المظلم .. لكن
الحاء ام يا ونع يده فى المستوى الطبيعى للصنبور حتى يلتقط
الذقات التى ربماتهبط فى غفلة من مواسير البيت الصدئة . توقفت
يداه ، واقتعد الارض متطلعا الى الصنبور فى صمت رهيب .. اسرع
يوضع تلمبة من المفيح وانتظر فى تحلز ..

افتح الشباك :

ضحكات القوم عالية .. يأكلون اللحم المباع فوق الارصفة ويتندرون
بالنكات التى تخرق الدخان المتصاعد معلق هو قدام شباكك المغلق
فلاتفتح الشباك .

لكن الدخان فى بئر السلم .. فى الدرج الدخان . يحتضن السياج واشباح
الليل المتسللة عبر الدهاليز .. سد فتحتى أنفه وتقرز .. فى الصنبور
الدخان .. الصنبور يخرج دخانا .. فى الاذنين الدخان .. سدهما .. فى
الحلق كان ، ضم الحلق فأختنق . من ثقب الشباك يأتى والضحكات
كاد الصدر أن يلتشى .. يتوهج الرأس .
تحرك صوب الباب المخلوع فالقرب مخنوق ..

افتح الشباك :

فالدخان يحجب الهواء .. يفسد الريح الذى ينبغى أن يأتى فى الليل
لكن قعود الارصفة يفتحون أفواه الوجوه الملتشية الصلدة .. يشهقون
يلفظون الكلام .. يولون شطر اقتبال الريح فوهات زجاجات البيسرة
الغارغة ويعبانوها هوا ..

فأحمل معولك حاد النصل واهبط .. حطم قواعد الجوزات .. اطمس
ضحكات النسوة .. هشم زجاجات البيرة المشحونة هوا ..

مخنوقا أنت .. وسوف تظل تحت المقطف في الآبار مخنوقا .. انهم
يرتفعون حين ينتشون .. تبهج الرؤوس فيعتلون امتعة الآخريين
واجساد .. وتسقط انت .. فأنت دائم السقوط ..

ادفع بدناء انكسول نحو الباب المخلوع واهبط درجات السلم ..
استنشق ربح الحارة قبل ان يقضى عليك وتصبح حفارا غير مذكور
ينسالك القوم هنا وقوم هناك خلف المسافات العمرانية وخلف
القضبان التي بلا آخر ..

يمكن للارض الملبدة حين هبوطك ان تهتز .. تختلج وانت في جوف
الارض حبيسا نلقى مصيرا مجهولا تفءلحدرا ان البئر .. تضيق
ولا يعلم أحد عندك شيئا .. تدفن تحت البئر .. من بقدر على رفعاك من
أسفل ..

..

حين اسشت رؤوس فعود الارعفه وفقدت توازنها النهاري .. أهدرت
أقزام البيوت ابواطئة .. واجهاتها الكالحة .. سمات مداخلها
المتمايلة .. باهتة كأفواه العجزة والمعتوهين .. تنفث التتر في
الظلمة .. عربات الرويا المرتكنة تحت اقفاص الدجاج الفارغسة
وفوارغ صناديق القمامة .. وتواصلت فيهم رواث تبعث على الثقيبو
رفعوا زجاجات البيرة .. تجرعوا الريح الساكن .. القوا الزجاجات في
غضب تناثرت على الارصفة ولم تكسر .. ارتدوا نظاراتهم السوداء والبنية
الشمسية وتضاحكوا .. امتطوا النسوة المستكنات .. انتشرت في الارض
الزجاجات .. محظور عليك السير هنا .. اخلع لعليك وارفع طسرف
القفطان .. جز على الاسنان ومر ..

اسمعت في الجو المشحون بـ حبات تجلوس الأرسفة الأجواب ، نلأفت
فوق احمرار الاعين الاجفان وتم دلت افخاذ النسوة المستلقيات ينظرون
شامتات .. هامسات عاريات .. منأوهات .

.. ادعوكم يا صعبة المقاطف والمعاول وخشونة الكفوف .

ادعوكم

لتأنوا بكل زمان الانتظار نحت شمس الميادين وأعمدة النور للظهور
العجلاء .

مساند كانت .. لتحملوا النبابت وتهدموا جدران الدخان العالية .
كثيها كان الدخان .. يملأ الحلق والمسام وأشكال البيوت

مخنوق هو القلب المتوثب للقفز نحو الخارج ومصلوب في الارض الصمت
ماتت .. نحيكات .. ونحيكات تتخافت تمهيدا للصوت .

سهخوا واغثين .. نظاير الشرر من العيون .. شرر مخدر ممزوج بالحنق
طلوا واغثين كانت فدنه المشلولة آلبة الحركة تود الخطو .. لكسن
الحلق المخنوق بهرفاه .

.. سد الاندام ودعهم في الحار .. سوف يمسأون كل هواء الكون فسسى
الزجاجات ويموتون بدخانهم الخائق .. اكتم في الصدر الانفساس
ومر .. ومر كان الاطفال قصار القامة ينتشرون على أطراف الأرسفة ..
يودعون الزجاجات في المنعطفات بشكل منظم .

والقدم المرفوعة تنبغى الحركة نحو الشارع المقبل .. لكن ضباب الكون
الهابط من علي تكاتف الدخان فتوقفت رجليه المرفوعة وتنهدت صدور
الوقوف قبضت يده الخشنة حلقه المفتوح ، اعياء .. يبدنو الدخان
ترنح بدنه »

.. تحت السقف الخوص تقبع أمراتك .. تنتظر بنافذ صبر السنسوات

العجفاء ان تنفك عن عنقك المعروق قروض الارض وبناء الدار .. لكن
المال المتبقى لديك سرق الآن فلتبقى سنوات آخر تحفر آبار عماشر
شاربي الدخان والبيرة والدم .

تقدمت الساق المرفوعة خطوة .. تحفزت ابدانهم الوافدة .. تنشرت
زجاجات البيرة المقفلة حول قدميه حاول أن يتفادها .
رفع ساقه الأخرى .. توهجت في المدور ادخنة لمضبي .
- هذا المجنون لابد أن يأتي

- ان يكون معنا

- يلبس نظارة ..

- وجاكيت شمواه ..

- يكون ..

يشرب ..

ماباله ؟ ..

- " وكه "

تقدمت اقدامهم خطوة .. مخلوقا بالدخان الكون .. حاذروا من تنائر
الرجاج المقفل والمعبا ريجا .. تناولوا الزجاجات في رفق .. اودعوها
ايدي العيال الذبي انطلقوا بها يسدون الشوارع المقبلة مازالت النعال
تعاسى الصاق الارض .. تخاف التقدم والزجاجات .
افتح ساقيك وشق الضباب وشد الرفاق .. شد الرفاق .
لكن الرفاق في الشوارع البعيدة يحاولون التقدم فوق الارض المنداحة
الزلقة .. مد القدم .. مد القدم .. مد القدم ..
وأيدى الرجال في الخلف تأتي .. تلاحق تحرك البدن المخنوق
- حاذر الزجاج

- حاذر الدخان

- حاذر الزجاج

- حاذر الدخان

تقطعت الفاسه القاحبة .. وزالمت .. والعمائم هناك لم تأتى ..
تلوى وكاد للسقوط .. تباعد الرجال فى الخلف وأحدث النساء
القمامات ..

أن سقط فلهم هو .. لكن البدن الخشن تماسك

بلفظ من الدخان المتوكل عن الحركة الفاسا

رفع بقدمه المتقدمة زجاجة .. تدحرجت تحت قدمه الاخرى ..

انفجرت .. تقاعد الرجال فى الخلف والنساء فى انكماش وسكون ..

تماعدت بعض ربيع ملأت رثتيه وبدأ ينطلق نحو الرجال ذوى العمائم
الذين كانوا يتوارون فى الشوارع البعيدة ..

احمد محمد حميدة

رحلة الطقوس الاخيرة

رفع نحوي عيني، زجاجيتين • عكستا ضوء المصباح المنزلق من ثقب في سقف الحجرة شملسي ارتجافة امنت لها جسدي • لم يعبأ بذلك الرعب الذي توطن داخلني منذ طرأت في رأسي فكرة البحث عن مثواها الاخير • نكس وجهه مرة أخرى ودفن عينيه الزجاجيتين • دفنتي ذلك الدفتر الكبير الراقد فوق مكتب كالح الطلاب • ابتلع الدفتر رأسه تماما • في بسطة متآكل راح يطوى الصفحات المحترقة الأطراف • يهتز رأسه يأسا كلما انطوت صفحة بين أصابعه • عاد وعكس ضوء المصباح بعينه • اخترق الضوء قاع رأسي فأجملت رفت أهدا بي ولم أعد اتحقق شيئا امامي • فسح في اذني صوتا نخره السوس :

- قلت • ما اسمها ؟

كررت على مسامعه اسمها • فأنكفا يدفن وجهه بين دفتي الدفتر الكبير • لم تمنى لحظات حتى رجع بظهره الى الوراء • فتح فاه فلم أر سوى فجوة عميقة الغور • تنفس فللحظتي رائحة كريهة • شعر بنفوري فقال متسائلا :

- هل أنت واثق ؟

رددت في شك حقيقي :

- كل الثقة

نفث رائحة فة الكهرميه وقال :

- لعل اسمها قد سقط سهوا

ارتعب قلبي • بحالقت في وجهه الذي لم يعكس تعبيراً واحدا يلم عن اسفه

- كيف حدث هذا ؟

ابتسم وقال فى برود :

- رأيت بعينيك - تصفحت الدفتر ورقة ورقة

انتفض خوفي .. ولكنه نهض واقفا خلف مكتبه .. هتف فى نفس صوته الذى
نخره السوس :

- لاتجزع .. ليس امامنا الا أن نذهب الى هناك .. عسى أن نستدل عليها

.....

خطواته فوق الطريق المترب واسعة .. الهث خلفه .. احاول اللحاق
بخطواته المستسعة .. يتصاعد صوت لهاثى عاليا .. ظل طوال الطريق
الى الجبانة يثرثر دون أن يلتفت الى كلماته المتشابكة يقذف بها الهواء
بعيداً .. تحدث عن الآخرة ودار الفناء بحياد غريب .. لم يهتز صوته .. ابتسم
وهو يؤكد كم من الموتى حملهم فوق ملكبيه .. وقال أن الدنيا لاتساوى
قلامة ظفر .. أهز رأسى تجاوبا وهو لم يهتم بردود فعلى نحو ما يسأل
توقف .. قال :

- ناولنى سيجارة ..

تذكرت منذ الصباح لم اشعل سيجارة واحدة .. دست يدي فى جيوبى ابحت
عن علبة السجائر .. وجدتھا خاوية فقدفت بها فى الهواء .. عادت لتستقر
تحت قدميه .. قال دون أن يلتفت اليها :

- لاعليك .. اعتقد أنى احتفظ بسجائرى ..

اخرج عليه .. مد الى يواحدة .. اشعلها لى .. اخذ يسحب دخانها
بتلذذ غريب .. عاود السير فوق الطريق المترب .. دخلت خلفه ممر اضيقا
بين بناءين من دور واحد .. اكتشفت انهما قصيرتان اصدر صوتا غريباً
من مخاريه ثم قذف بمخاطه فوق الارض المتربة وواصل سيره بلا احوال ..
تهادى الينا صوت نباح كلب .. التفت نحوى فرأى كمية الرعب الترمشت
فوق تقاطيع وجهى .. ابتسم وهتف مع دخان سيجارته :

- لاعليك • الكلاب هنا كثيرة • •

الفتح الممر التراي على صفوف من المقابر منتشرة حتى مرمى البصر •
توقف قليلا • اخذ نفسا عميقا من سيجارته وطوح ببقاياها في الهواء • • بلا
ارادة فعلت مثله • • اشار الى المدى الفسيح امامنا • • صاح بصوته المسوس ؛
- انها ترقد في ركن ما من هذا المكان • •

ثم قال في نفاذ صبر :

- ان مهمتنا عسيرة • •

رنوت اليه فادر لك نظرة التوصل التي شعت من عيني :

- لاعليك • •

ورحنا نحق طريقنا بين صفوف المقابر وعيوننا تمسح اللوحات الرخامية
ادارة ظهره فجأة :

- قلبت • • ما اسمها ؟

همست مرة أخرى بذلك الاسم الذي سرعان ما يتطاير من ذهنه • • وجعل
يبحث عن اسمها فوق احدى اللوحات الرخامية • • اثارت اقدامنا التراب
فتماعد نحو الوفاء • • سعلت بشدة • • لم يلتفت • • واصل خطواته الواسعة
تجمعت بعض كلاب قتالة ونبحت في وجهينا • • قلنا بحجر فتفرقت خلف
المقابر • • سب اباءها ومسح بمنديل الباهت اللون وجهه وصوب الى عيني
الزجاجيتين • •

- انت تجعل مهمتنا صعبة وعسيرة •

ثم في صوته المسوس

- انك تجهل حتى يوم دفنها

حاولت أن افهمه التي كنت بعيدا حتى قام بدفنها والتي قد أكون سببا من
اسباب موتها المفاجيء • وان شيئا ما في نفسي يثير دأخلي أسي وعزاسا
وتأنيبا كبيرا • • ار دت أن اخبره بما يطويه بهي عليها من رغبة ما نفسي

نفسى .. اريد على الاقل أن اعرف البقعة التى استقر فيها جسدها الواهى
لغلى اكفر عن غيابهى وتفاعسى عن تشيعها حتى مثواها الاخير . كنت احاول
أن انتحل الاعذار الواهية لنفسى .

- نز جسدى عرقا .. بدأت اشعر بلزوجة عنقى .. انتابنى ضيق من تراكم
الفبار حولنا .. وفكرت فى التخلّى عن فكرة البحث عن مثواها الاخير ...
واجهنى بوجه شرس ؟

- لم نترك قبراً . فأين تراها تكون ؟

تسرب الى نفسى يأس مرير :

- هذه مهمتك

لوح بذراعيه فى الهواء :

- ولكنك تسد السبل فى وجوهنا ..

وقفنا كنقطتين وحيدتين فى وسط هذا الخلاء الشاسع . بهفته اعلن نفسى

حبور غريب :

لاتبأس .. ثق أننا سنعثّر على مثواها الاخير ..

.....

تاسعت ظله الممتد وراشى كان طويلاً . لم ألحظ ذلك من قبل . لكنى
كنت ابدو كقزم ضئيل . اجتاحتنى رعب .. عاودت التفكير فى التخلّى عن
عن مثواها الاخير . استقر رأيى ألا استعين باحد . اقنعنى بأن معلوماتسى
الضئيلة لن تتيح لنا فرصة العثور على مثواها وأكد لى أن شيخهم لديه
فراصة شديدة فى معرفة موته . فهو يستطيع أن يحدد معالم الوجه والجسد
يستطيع أن يحدد يوم الوفاة ومن دفنها بيديه .. وقال بنفس الموت المشيع
برائحه فمه .. أنه لاسهيل أمامنا . رأيت ظله يدلف نحو زقاق ضيق ..
تسارعت أنفاسى .. اشتيمت رائحة غريبة وملفحة ظلت ربما تلوح من ثوبه
الذى لم يخلعه منذ اليوم الأول فى مشوار بحثنا السمنى . لمحته يقترب من

رجل يفتعد كرسيًا خوزانيا أمام دفتر باب دابقمير... لاحت بعرض
قطع الثياب من فوق السطح ترهف كأعلام ورقية • بش الرجل لمرآه • • اكتفى
بأن أبتسم له ابتسامة ضيقة • • اقترب من رأسه اسر له بشي اشار لي الرجل
دبوت في وجل • • حييته فلم يرد تحيتي ارتعشت أهالي ووقفت أمامه
كتمثال • • نهض فجأة فأنخل قلبى • • أعطاني ظهره ودخل من باب البيست
المتناهي في القمر • • احسست وأنا اتبعهم أننى داخل الى قبرى • • كانت
الطريقة طويلة ومتربة الارضية وهناك بعض خيوط العنكبوت نتدلى من
الاركان • • سمعت أصواتا متداخلة فرعت لدخولنا • • ولمحت اشباحا يختلط
بعضها ببعض ثم تختفى داخل ابواب مغفورة الافواه في الطريقة الطويلة
سعل الرجل ودخل من باب جانبي شبه مظلم • • ترددت طويلا ولكن صاحب
العينين الزجاجتين رشقني بنظرة عارمة • • خطأ طأ برأسى ودخلت
خلفهما • • الغرفة واسعة • • حميرة تحت اقدامى • • استقبلتنى رائحة القدم
رأيت الرق الذى اعتقد أن شيخهم قد جلس فوق حشية تتصدر الغرفة •
الغرفة خاليا الا من بعض اشياء اجمل وظيفتها • • لا ادري لماذا اعتورسى
خوف كبير • • رحت أبحث عن ريقى في فمى الجاف فلم اعثر الا على طعم
التراب المخلوط بنفس الرائحة • • دون صوت جلس صاحب العينين
الزجاجيتين وأمرنى أن اقترب منهما • • وضع حشية في مواجهتهما • • فجلست
في حذر • • قال الشيخ :

- موقفك صعب ويحتاج رأسا لا يعكره شئ • •

ثم زعق بصوت متحضر فأقبلت من الباب امرأة بديلة • • جاءت تترجرج في
سيرها • • بلا ادنى التفاته انحنت تلتقط الاشياء الموضوعة في ركس
الغرفة • • قال :

- جهزى المعلوم

تسلطت على رأسي رؤى غريبة وقررت أن أنهض من فوري وأقوم خارجاً .
نظر الى صاحب العينين الزجاجتين . ادركت أنه قرأ افكارى فتسمرت فوق
الحشية . سمعت هتوت طفل يبكي فشعرت بالاطمئنان . . تبعه صوت امرأة
تنهره عن البكاء . حدثت بأنها المرأة البدينة التي دخلت الغرفة منذ
لحظات قليلة . . هز صاحب العينين الزجاجتين رأسه وقال في مودة
- فو أننا سنعثر لك على مثواها الاخير .

كنت قد نسيت لماذا انا اجلس أمام هذين الرجلين تماماً . ولست بها بهين
خوفي الذي أخذ يتسرب الى كل جزء من جسدي .
اقتحمت الغرفة رائحة شيء مخرق . . لمحت المرأة البدينة تقترب من ذلك
الرجل الشيخ وتضع أمامه صينية تتأجج فوقها جمرات من النيران . اشار لها
بالخروج فلبت طائعة . نهض صاحب العينين الزجاجتين واحضر ما يشبه
الجوزة . اعد جمرات النيران ثم وضعها فوق قمة الجوزة . بماتة حديدية
جذب نفسها من طرف عود الغاب المثبت في قاعدتها ثم ناولها للشيخ
دون أن يفوه بكلمة واحدة . . دس الشيخ طرف الغاب في فيه . . كانت
الغرفة شبه مظلمة . . وهناك نافذة حديدية خلف ظهريهما لا تتيح الا قدر
ضئيل من ضوء النهار بالتسرب الى داخل الغرفة . . تخلقت حلقات مسن
الدخان بدت وردية في بداية الأمر . بفتته ودون توقع فتح الشيخ فاه ليقول
شيئاً بهرني صف الاسنان الذهبية التي التمعت تحت ضوء النافذة الواهن ؛
قال :

- ماملتك بها ؟

قلت وانا اتحاشى النظر اليه ؛

- حميمة

شد نفسها وقال

- معها لي . .

تحيرت كيف أصفها له . فمئذ وقت بعيد لم أرها . . هل أصبحت سميلة
ومترهلة الجسد أم احتفظت بجسدها الواهن الضعيف . هل اشتد عودها
أم هذل . . ولكنى قلت للشيخ :
- امرأة ذات قلب عطوف

كنت أعرف أن قلبها هو الوحيد الذي لم تغيره الأيام والسنون .
هرقت أسنانه في فراغ الغرفة وابتسم ابتسامة لم أعرف فحواها . ورأيت أنه
يجذب الانفاس بحرارة غريبة على شيخ مثله . . والظلام الباهت لم يتسح
لي فرصة تقدير عمره . . هل مازال يحتفظ بشبابه أم جرت عليه الأيام
مجرأها . . نظر الى وتساءل :
- أكانت عاقرا ؟

قلت وأنا في دهشة من غرابة اسئلته وتأكد لي أنه ربما يكون معتوها :
- كانت ولودا . -

تساءل من جديد
- أكانت تلد ذكورا أم أنثا . .
قلت في خوف حقيقي
- ذكورا . .

لفخ في وجهي دخان جوزته وقال :
- أهم كانوا رجالا أم انصاف رجال .
حملت في وجهه . . كان وجهه هادئا . . قلت :
- لا أدري

هز رأسه في ضيق وقال أن على أن اتذكر كل شيء . . صغيرا كان أو كبيرا
فذلك سيسهل المهمة عليك وكنت أريد أن أقول ماذا بهم أن تعرف أن كانوا
رجالا أم انصاف رجال . ذكورا أم أنثا . نعاجا أم آدميين . رأيت الأمر
كله كدعاية باهتة ولا معنى له وحاولت أن لقوم خارجا طافوا به وبرقست

اسنانه الذهبية وحدجنى بنظرات كانت تقول مادمت جئست
هرجليك فلا ارادة لك فى الخروج من هنا الارادة هنا ارادتنا
قال كطلق نارى -

- امثاكد من موتها ..

قلت وقد اختلطت الاشياء فى رأسى :

- كل التاكيد ..

- اتعرف يوم وفاتها ..

قلت وانا اتحاشى النظر الى اسنانه الذهبية :

- صدقنى لا اعرف شيئا عن وفاتها .. ربما تكون قدماتت ملسد

ايام او منذ شهور او سنوات لست اعرف بالتاكيد ..

لغخ الدخان وكان لونه يقترب من الزرقة مما جعل الجو حولنا غريبا

سمعت ضحكة جاءت من الطريقة الخارجية .. التفت الى الشيخ

مرة اخرى وتساءل :

- أفاطمية هى ؟

قلت فى دهشة :

- لا أدري ..

قال :

- عباسية اذن ؟

عادت أقول في عدم فهم :

- لا أدري

اشاح بوجهة بعيدا وكأنه تلتزم من جهلى :

- علوية أم درزية ..

بدأ العرق يسيل على جبهتي واحست باحراج من تلك الاسئلة
التي لا أفهم مغزاها .. وكنت اريد أن اقاطعه وأقول له أن كل
ما أعرفه هي أنها ماتت في يوم ما لا أدري بالدقة ماهو .. وجدته

يقول من جديد :

- أمتأكد من موتها ..

لم يلتزم ردى .. قال

- لا يحتمل أن تكون قد قتلت

بهت نظري في وجهه .. كان يدخن .. حولت نظري الى صاحب

العيليين الزجاجتين مستغيثا • كان يتابع حركة القاب بيسن
شفتى الشيخ • هتلت من أعماقى :
مستحيل • •

زعل فى وجهى هذه المرة
- من ادر التوالى غير متأكد من شىء
تداخلت الرؤى ووجدته يدفع بطرف القاب نحوى
- خذ • • يجب أن يكون ذهنا صافيا • •
بيد مرتعشة تناولت الجوزة من يده • • وضعت طرف القاب
بين شفتى •

.....

لم تمبنى دهشة مما رأيت
رأيت نفسى عاريا تماما كما ولدتنى أمى وكنت فى الغرفة وحدى
راقدا فوق لوح خشبى تحت اللافة الحديدية • ورأيت فى السقف
مصباحا • تدلى يتأرجح يمينا ويسارا • • بحثت عن الرجل ذى
العيليين الزجاجيتين بعينى لم يكن له وجود داخل الغرفة •
وكانت تلك الراحلة المميزة تلوح من مكان لا ادرى موضعه •

وهناك ثمة دخان يعبرق السقف وكأنه قطع من السحب بهيم
السماء حاولت أن أصرخ ولكن صرختي ضاعت في لحي . . قلت :
للنفس لماذا تنام عاريا هكذا . فكرت في النهوض ولكن
جندى كان خاويا كقطعة قطن مندوف . ولكنى كنت يقطسا
تماما . ناديت الرجل فدوى صوتى ليغراغ الغرفة . . دوت الى
الباب كان مغلقا . . شعرت بأنى فى مأزق حقيقى ماذا حدث
لى بالضبط . تذكرت أننى كنت ابحث عن مثواها الاخير
ولكن مالى جاء به الى هنا . لم يطل تفكيرى اذا انفتح
الباب ودخلت امرأة بديلة . لم استب ملامحها تماما .
وقفت عند قدمى . . لم تخجل من عروى . . ولم أخجل أنا . .
هل ظلمتوسد اللوح الخشبى . قلت لها :
- اين صاحب العينين الزجاجيتين
ضحكت ضحكة حسيت أن سقف الغرفة سيلهار لضحكها . . قالت
- انتهى لتوه من عمله
فغرت فاهى دهشة :

غسلنى

قالت دون أن تخجل

- بعد قليل سيحضران لحملك الى هناك

اعطتنى ظهرها وذهبت الى باب الغرفة . فتحتة الى القميصى

اثناع . حين عادت وجدت على رأسها وجهها ذا ملامح ليست

مخيفة على . دقت النظر فى ملامحها . صعدت . . حاولت

أن أقوم لأخذها بين ذراعى الخيراء عثرت عليها قلت فى صوت

لا ادري كيف خرجت من أعماقى .

- انت

قلت وكادت الدموع تطهر من عينى

- بحثت عندك طويلا . . اين كنت

دوت ضاحكة . . هالنى ضحكها . . كان من المفروض ان تعانقنى

فمئذ سنوات طويلة لم أرها ولم ترنى قلت وفرحة طامغيسة

تهز كيانى ؛

- الخيراء انت

ولكنى تنبهت اننى ما زلت فى تلك الغرفة القميئة فتناءلت

- ماذا تفعلين هنا

عوت ضاحكة من جديد قالت :

- وماذا تفعل انت

- كنت ابحث عنك

دخل الرجل الشيخ من الباب وقال لها فى مودة

- هل انتهيت

قالت له وهى تضع يدها فوق كتفه

- هو جاهز الان

ونادى بأعلى صوته . حضر بعض الرجال لم أرهم من قبل انحنوا

تحت اشارة من يده لحوى ورفعونى والى فوق اللوح الخشبي

على اعناقهم .. جاءنى ضحكها من خلف ظهري . فصرخت . فيها :

- ماذا فعلت حتى تفعلين بهى هذا

حاولت أن اقفز من فوق اللوح الخشبي . لم استطع كأننى مكبل

بسلاسل حديدية وخرجوا بهى من الباب أيتها تعانق الرجل

الشيخ .. فصرخت وصرخت وصرخت

.....

هزتنى يد فانتفضت كجرو .. فتحت عيني على اسنان ذهبية

لضيده

- هل انت علي استعداد

فركت عيني لقد ضايقتني ضوء المصباح برغم ضعفه الهزيل وتساء

علام الاستعداد

لمحت نظرات دهشة على وجه الرجل .. آتاني صوت من الجانب

الآخر للفرد

- السيت من تبحث عن قبرها ؟

تذكرت فجأة كل شيء نهضت قافزا فرأيت الرجل ذا العيدين

الزجاجتين يستند الى الحائط متقرعما كقط .. حين استردت و

دخلت المرأة البدوية رحت أمحلق في وجهها لم تكن هي بأية

حاول حاولت أن اتذكر تلك اللحظات المريرة التي مرت علي ..

بدت خيوط ما حدث تتجمل في رأسي فعاودني الخسوف

فأنكملت حول نفسي .. ودون توقع مني تساءلت ..

- ٧٨ -

- أهدى الليل

لوح الرجل صاحب الاسنان الذهبية

- لقد انتصف

انتفضت مرة أخرى وعلمت في هلع

- يجب أن اذهب حالا ..

صرخ الرجل ذو العينين الزجاجيتين

- لماذا جئت إذن

قلت في ذهيرة توصل

- لقد ذهب الوقت

وقال الشيخ :

- هذا افضل وقت للعثور على قبرها

وقال الرجل المقرص عند الحائط

مقابر الصدقة ليست بعيدة

فوجدت فعدت ابخلق في وجهيهما

- المدقة

قال الشيخ

ماذا كنت تظن لقد بحثت في كل مقابر المدينة

وتساءلت في شك من كل ما يجري امامي :

في صوت واثق

- بالتاكيد

داخلى ريب من هذين الرجلين • خاصة كبيرهم اوشيطهم

وحدثت أن لى الامر خدعة ما اجعل تدابيرها

لقد ملحتهم كل مامسى من اجل البحث عن ملواها الاخير

لماذا يدبر ان لى • • هل يخذ عانك ام أنك تدور فسى

حلقة مفرقة • • عليك بالعودة الان والتخلي عن البخش

عنها •

قلت لهما في صوت مرتعش

- فلنؤجل هذا الى الصباح

لم ادع لهما فرصة • دفعت الباب فخرجت

.....

في ذلك الصباح ذهبت اليه • • كان جالسا فوق مقعده

الخيزراني • لم يبهس حين رآني قال :

قلت في ثقة :

- جئت من أجل البحث عن مثاها الاخير :

حدجني بنظرات ملتبهة وقال في نفس صوته الذي قابطني

به البارحة :

- موقفك صعب ويحتاج رأسا لا يعكره شيء

سهرى عن كرسىه الخيزرانى من باب البيت المتناهى فى القمر . . وهوى دخل
الطريقه الطويله احست وانى اتبعه اننى داخل الى قبرى . . كانت الطريقه
طويله ومتربه . . وهناك بعض خيوط العنكبوت تتدلى من الاركان . سمعت
اصواتا متداخلة فزعت لدخولنا . . ولمحت اشباحا يختلط بعضها بالبعض
ثم تختفى داخل ابواب مغفورة الاقواء . سعل الرجل ودخل من باب جانبيه
شبه مظلم ولكنى لم اتردد . .
دخلت خلفه لأنوى على شىء . .

.....

سعيد بكر

١٩٨٥

السيدة العجوز

أصاغت السمع • تناهى اليها زحف الاقدام على الدرج • • من اسفل
" لقد أنوا "

ارهفت • كالعاصفة تنذر بالاصوات من بعيد • كثيرة كانت • كلما
ارتقت نكاثرت • •
" ليأتوا • لن اغادر بيتي "

لاذت بالركن المألوف • بين الاريكة والحائط • • اعتادت الجولان
فى الماضى

من هنا • • الامعان فيما حدث • التطلع الى الآتى • • تتصوره • •
تحفز نحوه • • تستحضر إرادة صلبة • تحاول كبت خوفها • تدفنه
فى أعماق بئر • تحكم فوقه الغطاء

تجاهد الظلام والوحدة • المتخالفين ابدا • ضد الشيخوخة
ضد الجسد الذى لعفته السنون نحلته تركت القفص المدرى عليه
خاوية • تدب فيها الاصوات • تتردد بين اضلوع •

اعرفانك محامى الخصم • الايصالات يا استاذ • أنا استلمتها من
موكلنا يدا بيد واعطيته الاجر شهرا بشهر • كنت أتعلم ؟

ركلت الاقدام الباب من الخارج • صوبت عينيك على الكالسون •
على الترباس اسفل الباب ا

ازت المسامير من الضلطة • دفعة قوية خلعت الباب • انكفأ على

على الارض تطاير طرف فرش المنضدة وغطاء الفراش • وبانست
الوجوه من فتحة الباب الشاغرة • كالصخر الاصم • • جاست
الاقدام فى البيت • تركل مايقابلها •

فحوا النافذة • اندفع تيار هوا • بين النافذة والباب • يابنى
آدم لاتساومنى • • اين ابيت "

سلقوا الجدران • اعتلو واجهة البيت • الشرخ فى الجدار عميق
خلعوا شيش النافذة • تذفوا به الى الشارع • • طار • • صفى غلى
البعد • •

كم تطلبين " قولى " كم • •

مال قارون لايكفى • لن ابرح بيتى • افهمت • لن أبرحه ابدا
ابدا • •

هزرت رأسى بالرفض • طفرت من عيني دموع • ياخسارة ماكنست
احب أن تطفر تجلت آيات الاعجاب فى وجهه • منحنى قوة فردت
ظهري • كنت اكافح السقوط •

غادرت متماسكة • اما اجمل أن يكون الحق فى يدك • لتفدبسه
وجه الباطل • •

خر التراب من السقف • • اضلاع السلف الخشبية تن • ينغرز
نصل المعول فيها " تزيق " اللواح المتراسة من فوقه هشسه
تنثال مع التراب • فوق الفراش والاريكة • يبعثرها الرئيس
المتصل بين الباب والنافذة •

امند شرخ في الواجهة • شطرها • نشعب وسقط من بينه حجير •
نفضت ذراعها في حنق مسحت رأسها • مسحت ووجهها براحتيها
ازالت التراب المترسب بين النجاعيد •

استخيفك في بيتي حتى ابني العمارة • سأعطيك في العمارة
الجديدة •

سوته الخافت يثير الريبة • عززت له يدى : أكتب ماتقول "

ابتم • اطل الخبث من ابتسامته " ابن الكلب • يريد أن يلقي
بى الى الشارع • أبيت على الرصيف • مع القطط • بجوار علب
القمامة • فى الصف شمس حارقة • وفى الشاء " غارقة
سجوم السماء اغرب لاء •

ستخليه • اقم ستخليه • انا وانت والزمان طويل •

استتحت طاقة فى السقف • لمعت نجمة خلف ذرات التراب
فعل المعمول يقدح احجار الواجهة البيت خال • على رأسى
ارتضى السكان الرحيل • قبضوا (البواكى) ورحلوا • •

حقيقى • اصابه الكبر • قالوا عنه " ايل للسقوط " بخرت السنون
جدرانها • لكنه منتصب القامه ام برال •

" تأجلت القضية لعرض مستنداتك على الخبير .

كادت تنهار . انهارت واجهة البيت . كشفت عن احشائه
اسهار الدرج . . هام التراب في البقايا المتساقطة . ملاءش
السلم .

بقيت في الركن تحلق في الظلام . . تغالب الضباب المتمثل
في ذرات كثيفة . تتلفس تراب تستشفه . تبصقه .

ولم يكن بد غير المكوث والانتظار .

تبدد الغبش . انجلي المبح وبان الشارع . وخيالات المسارة
تعبر . امام البيت .

تتجمع كالنمل حول كسرة الخبز . تكاثر الناس . حول سلم
الاطفاء . عربة الاسعاف

الجميع يحملقون في الغرف المرصوة على الشارع بطلائها
الجيري متعدد الالوان يشيرون الى شيء اسود متململ بين
الاريكة والحائط .

هبط الرجل من فوق السلم دونها . . توجه " للمأمور " .
صاحب البيت متمتع الوجه . كان لوجوده على ارض الغرفة
لحظات زئبقية ثقيلة . انحبست لها كل الانفاس . تحولت
القلوب الى المحاجر . تتطلع ماكادت تعتلي ظهر الرجل
وتطوق عنقه وتستقر حتى تملئت النفوس خوفا . صدرت عنها

همهمات فزع مكبوت • وبدأ وجه السيدة العجوز • مغمض العينين
يتقاطر من بين تجاعيده " كركم اصفر " وصل الرجل الى حافسة
الواجهة • تحسس بمشط قدمه اول درجات السلم • لم يكن ثمة
دعامة يعتمد عليها • حركة حذرة • متوجسة • بحثا وتلمسها •
اول درجة من السلم • مؤشر يحرك العيون من أسفل • كادت تستقر
اول قدم اول درجة سحبت الانوف شبيها عميلا • • لكن القسودم
الآخرى لانزال على ارض الغرفة • • مال بجذعه لليمين • لتسلسل
يسراه عبر الهواء • بسط ذراعيه كذا لك كان • جذع مائل وقسودم
تغادر ارض الغرفة وذراعان مبسوطتان لحفظ التوازن • استقرت
القدم الثانية فوق نفس الدرجة من السلم وتصايح الناس فرحسا
زادت دهشة الجميع حين شاهدوا السيدة العجوز • تتعلق برقبة
الرجل بيد واحدة • فقد كانت اليد الاخرى تلوح في الهواء بقبضتها •

سعيد بدر

709



0271053

Handwritten text in blue ink, likely a library call number, enclosed in a light blue rectangular border. The text is written in a cursive style and includes the number '31' at the bottom left.

31
مکتبہ
مکتبہ
مکتبہ
مکتبہ